المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
ISSN: 2437 – 1181
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم . الجزائر
المجلد:3 العدد: 1 (2016) ص: 124 - 141

جماليات المكان في فيلم " Avatar" للمخرج جيمس كاميرون

– دراسة تحليلية سيميولوجية –

The aesthetics of the place in the film "Avatar" by James Cameron

– Symological Analytical Study –

غانية زيوي

جامعة عبد الحميد ابن باديس – مستغانم/ الجزائر –

البريد الإلكتروني: ghanoujournaliste@gmail.com

تاريخ الارسال : 06-01-2016 **تاريخ القبول: 07-03-2016**

الملخص:

تمثل السينما خطابا بصريا، لديه القدرة على التوغل في كافة جوانب حياة الإنسان، بل ولديه القدرة على تشكيلها، وذلك من خلال فاعلية الخطاب التي تبدأ من انتقاء المظاهر الجميلة من الوجود الطبيعي بدلا من الاقتصار على تقليديها، أي أن الخيال يبدأ بالإفصاح عن أبعاده الجمالية وقدرته على الخلق عندما يدرك الفنان العلاقة بالأشياء ويستجمع المعاني، وتتمثل الجماليات السينمائية إذن في دراسة الموقف النظري والتطبيقي من ظاهرة الجمال في السينما، وإيجاد علاقات فنية وجمالية وتعبيرية بين عناصر التكوين السينمائي.

ومن بين الجماليات التي تنطوي عليها دراستنا جماليات المكان في فيلم "أفاتار" للمخرج جيمس كاميرون، الذي عودنا دائما بأفلام مختلفة عن سابقتها، أفلام تحمل أفكار ورؤى جديدة تخاطب العاطفة والفكر وتفوق ما يتصوره العقل، ومنه نطرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى تسهم تقنية المكان في إضفاء دلالات جمالية وتعبيرية على الفيلم؟

الكلمات المفتاحية: الجماليات، المكان، فيلم "أفاتار".

Summary:

The cinema represents a visual discourse that has the ability to penetrate all aspects of human life, and even the ability to form it through the effectiveness of speech, which begins from the selection of the beautiful manifestations of natural existence rather than exclusive tradition, that is, the imagination begins to reveal its aesthetic dimensions and ability On the creation when the artist recognizes the relationship of things and summons meanings. The cinematic aesthetics are then to study the theoretical and practical position of the phenomenon of beauty in cinema, and to create artistic, aesthetic and expressive relations between elements of film formation.

One of the aesthetics of our study is the aesthetics of the place in James Cameron's Avatar, which always returns with different films from its predecessor, films that carry new ideas and visions that address passion and thought and surpass the imagination of the mind, and from which we raise the following problem: To give aesthetic and expressive connotations to the film?
Keywords: aesthetics, place, The film "Avatar".

مقدمة:

إن أهم مصدر تستقي منه السينما موضوعاتها هو المجتمع الذي يعتبر مادة أساسية لكل سينما وحتى وإن كانت تتعلق بأفلام الخيال العلمي، بحيث كل فيلم يتم إنتاجه خاضع لمتطلبات اجتماعية، لكن بالرغم من هذا فإن أي فيلم سينمائي ومهما تميز على مستوى الأداء الفني، إن نجاحه يكون دائما مرتبطا بالجانب الجمالي، خاصة ونحن نعيش اليوم عصر الصورة بامتياز وما حققته من تطورات وتحولات كبيرة لتصبح إحدى أهم الآليات الثقافية والمعرفية والاقتصادية، وذلك بفضل التطورات الحاصلة في التقنية، التي مكنتها من بسط نفوذها وفرض سيطرتها، حيث أحدثت نقلة نوعية في أساليب التعبير والمضامين وطرق الرؤية وتوسع في الرؤى والخيال، كما سهلت مهمة صناع الأفلام في طرح أفكارهم وإطلاق العنان لمخيلتهم، وأتاحت سحرا جديدا يختلف عن سحرها في الماضي وجمهورا جديدا يختلف عن جمهور الماضي مما زادها جمالية وإقبالا كبيرا.

وبناء عليه فإن الناحية الجمالية هي أولى اهتمامات صانع الفيلم حيث تصبح السينما لدى المشاهد ميدان سحر ووسيلة للمتعة والترفيه، ولهذا فإن مفهوم الجمال في السينما يحدد على أنه قيمة كونية متعالية عن بقية القيم الأخرى، فهو الذي يرتقي بها من مجموعة من المشاهد والصور إلى جملة من اللوحات ذات صبغة استيتيقية أكثر عمقاً وهو الذي يرتقي بها أيضاً إلى منزلة الفن الأكثر مشاهدة اليوم، فالجمال في السينما هو القاسم المشترك الأكبر بينها و بين النجاح جماهيريا.

وعليه فجمال الصورة السينمائية لا يتعلق بالشكل الخارجي فقط وإنما هو حقيقة موجودة في عقولنا، وفي هذا الصدد يقول "جون لوك كودار": " للجمال وهو روعة الحقيقة قطبان، هناك مخرج يبحث عن الحقيقة وما إن يجدها فإنها ستكون بالضرورة جميلة، وآخر يبحث عن الجمال وما إن يجده فإنه سيكون حقيقيا، يجد المرء هذين القطبين في الخيالي والوثائقي"[1].

وفي هذه الدراسة ارتأيت أن أتناول فيلم "**أفاتار**" للمخرج جيمس كاميرون، لتسليط الضوء على جماليات المكان الذي تدور فيه أحداث الفيلم، والذي يضفي الواقعية على فكرة الفيلم ويسرح بخيال المشاهد في أدق تفاصيله.

1/ الجماليات:

ترتكز الجمالية في الفيلم السينمائي على تنظيم العناصر المرئية وترتيبها داخل الإطار الفيلمي بما يبعث الرضا والفرح لدى المتلقي، وهو بذلك ينظر للعمل السينمائي نظرة تقدير له من حيث التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي.

وعليه فالجمال هو غاية التكوين الجيد للصورة المرئية في السينما والتلفزيون، والتكوين أحد عناصر البناء الفني الجميل لبناء الصورة، وتعتبر التكوينات الجمالية في مشاهد السينما من أهم عناصر نجاح الأعمال السينمائية، والتي تتطلب عادة الإحساس المرهف والقدرة على الخلق والإبداع والابتكار والذوق الرفيع، وتناسق الألوان، وتوافق عناصر المشهد وترابطها، وانسجام الحركات، إضافة إلى الخبرة والدراية الواسعة ليس عند المخرج فحسب، بل عند المصور، ومهندس الإضاءة، ومهندس الديكور، ومنسق الإكسسوار[2]، ولعل الناحية الجمالية هي أولى اهتمامات المخرج الذي يعمل على جمع عدة عوامل سيكولوجية وبيئية لخلق أفق مفتوح الدهشة والإيحاء، وهذا ما يهدف إليه البحث حيث يكشف عن الدور الجمالي للمكان في الفيلم والكشف عن القيم الجمالية.

[1]- مليكة جورديخ، **جماليات اللون والديكور والإضاءة في فيلم جبل باية – دراسة وصفية تحليلية –** مجلة جماليات (جامعة مستغانم)، العدد 14، 2014، ص145.

[2]– عبد السلام شحاذة، فن التصوير، غزة–فلسطين، مطابع الهيئة الخيرية، 1997، ص35.

ونحن نعي جيدا أن الإنسان بطبعه يبحث عن الجماليات في كل شيء، وصفة الجمال تعطي له ما يحتاجه من شعور بالرضا والبهجة والتحرر، وفي هذا الصدد يشير أحد أدباء الانجليز "أوسكار وايلد" إلى الجمال على أنه: " نوع من العبقرية، بل هو ارقي من العبقرية لا يحتاج إلي تفسير، والإنسان قادر علي تذوق الجمال، وصناعة وإبداع أشكال جمالية حسية أو وصفية، أو تفاعلية، وخير ما يمثل ذلك هو الإبداع السينمائي، احد أنواع الفنون الجمالية التي باستمرار يبدعها الإنسان"[3].

وبناءا عليه، فإن أصل كلمة aisthêtikas يونانية وتعني «كل ما يتعلق بالإحساس»، استعمل الفيلسوف الألماني «بومرتن غوتليب أسكندر» هذا المفهوم في كتابه عن الشعر سنة 1758، اكتسب هذا المفهوم منذ ذاك التاريخ معنى آخر، إذ اقترن بالتفكير في الجمال، ماهية الفن وما هي غاياته في الحياة؟ هذه هي الأسئلة التي ظلت تشغل بال الفلاسفة والفنانين، فحب الجمال لدى أفلاطون يعني تحرير الروح من النفعية، أما أرسطو فيرى أن التمثيل بالصور، ومحاكاة الأشياء، بما فيها التي لا تعجبنا في الحياة اليومية، هي مصدر لذةّ، فالشعر وكل أنواع المحاكاة لها دور تربوي، إن للجمال دور في إثارة الرعب والشفقة من خلال التمثيل الخيالي لذا فإنه يقوم بدور تطهيري، بالنسبة لهيغل، فإن «الإستيتيك» باعتباره علم الجمال الفني يتجاوز إنتاج الطبيعة، إن أعمال الفن الإنساني تظهر الروح من خلال منحها مرآة تتمعن فيها.[4]

إذن الإحساس بالجمال وتقدير القيم الجمالية من العوامل التي تؤثر في كل فرد من حيث هما مقياس المفاضلة بين العوامل الخارجية، كما أنهما دعامتان قويتان من دعامات سعادة الإنسان وشعوره بالبهجة واللذة، وللجمال ميادين مختلفة إلا أن ما يشد انتباه المشاهدين من جماليات السينما من خلال المكان الذي تدور فيه الأحداث.

وعليه، فإن الوظيفة الأساسية لصانع الفيلم لا ترتكز فقط في نقل الواقع، بل في خلق عالم جديد عالم إنساني حقا، عالم يستطيع أن يجذب المشاهد إلى نواحي عدة، ولعل الناحية الجمالية هي أولى اهتماماته، حيث تصبح السينما لدى المشاهد ميدان سحر تتحد فيه العوامل السيكولوجية والبيئية لخلق أفق مفتوح أمام الدهشة والإيحاء، فالسينما منذ اختراعها تفرض سطوتها وتثير الدهشة والرهبة والخوف، ولذلك فإن

[3]– محمد الغريب، **في فلسفة جماليات السينما: دلالات وملامح**، عين على السينما، الإثنين 15 يونيو 2015 على الساعة: 21:55
الرابط الإلكتروني: http://eyeoncinema.net/Details.aspx?secid=56&nwsId=3243

[4]- نصر الدين العياضي، جمالية الصورة، مجلة الإذاعات العربية، تونس، شركة فنون للرسم والنشر والصحافة، العدد 02، 2003، ص34.

تلقي المشاهد وكيفية إدراكه للسمات الجمالية، يجب أن تكون معروفة لدى صانع الفيلم السينمائي، في ضوء ذلك كله تأسست السمات الجمالية للأفلام السينمائية.[5]

وهو ما جذبنا إليه جيمس كاميرون في تحفته السينمائية "أفاتار" في خلق عالم ساحر على كوكب "بنادورا" الخيالي، مما جعل المشاهد يتعايش مع شعب الكوكب ويتعاطف معهم، حيث ترك المكان الساحر الذي دارت فيه قصة الفيلم أثرا كبيرا في نفسية المشاهد.

فالصورة السينمائية هي مادة اتصال تقيم العلاقة بين المرسل والمتلقي، فمرسل الصورة لا يقترح رؤية محايدة للأشياء، والمتلقي "يقراها" انطلاقا مما يسميه الباحث الفرنسي جون دافينيو Jean Duvignaud بالتجربة الجمالية والمخيال الاجتماعي، وذلك لأن الصورة لا تخاطب حاسة البصر لدى المتلقي فقط، بل تحرك حواسه وأحاسيسه، وميراثه العاطفي والاجتماعي، فدلالات الألوان، على سبيل المثال، تختلف من مخيال اجتماعي لآخر.[6]

حيث أن أي فيلم سينمائي يترك فينا نوعا من الانطباع، يطلق عليه الانطباع الداخلي، والذي يتشكل من خلال الإدراك الذي يتم بدوره على نوعين، إدراك داخلي: فهو الإدراك الذي يتم من التأمل الذاتي لحالاتنا النفسية، وأفكارنا ومشاعرنا وانفعالاتنا وعواطفنا، والنوع الثاني إدراك خارجي: هو إدراك الموضوعات الخارجية عن طريق الحواس الخمس، ومنه إن العملية السينمائية ما هي إلا عملية عقلية، فالسينما فن العقل بالضبط.[7]

وبهذا فإن فهم الجمال في السينما هو عملية معرفية ومن ثم يمكن أن تكون فعلا خالصا للتصور أو فعلا خالصا للإدراك، أو جمعا لهما معا.

وانطلاقا مما سبق يتوجب على صناع الفيلم دخول مرحلة جديدة لتطوير أفلامهم خاصة في ظل التطور الرهيب للتقنية من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من التأثير على الجمهور، وبالتأكيد فإن أي تطوير يضفي جمالية على الفيلم، بحيث يتم من خلال العمل على تطوير كافة العوامل الداخلة في صناعة الفيلم، لخلق سمات جمالية للسينما.

2/ المكان:

يشكل المكان أو الفضاء في الفيلم السينمائي أحد أهم العناصر الجوهرية، ونقصد به أماكن الأحداث وكيفية عرضها من خلال التأطير، وعن طريقه يتم ترتيب الشخصيات بحسب أهميتها والمشاهد وفق

[5]- كاظم مرشد السلوم، سينما الواقع – دراسة تحليلية في السينما الوثائقية، سوريا، دار أفكار للدراسات والنشر، ط.1، 2012، ص100.
[6]- نفس المرجع، ص36.
[7]- كاظم مرشد السلوم، مرجع سبق ذكره، ص96-97.

الوظيفة التي يريد منحها المخرج لها، وعن طريقه يمكن معرفة حدود الصراع الدرامي المتولد في الفيلم، حيث نميز في المكان بين: الفضاء الطبيعي وفضاء الأستوديو، كما نميز بين المكان الخارجي والمكان الداخلي..

وبناءا عليه، يشكل المكان مكونا محوريا في بناء السرد، حيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارج نطاقه، فكل حدث يأخذ وجوده في مكان وزمان معينين، ويعرف الباحث لوتمان بقوله: " هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر أو الحالات أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة...) تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/العادية".[8]

وبالتالي المكان هو الحيز المكاني في ألحكي، كما يطلق عليه في الدراسات الغربية الفضائي الجغرافي "l'espace géographique " ذلك الذي يتولد من مضمون القصة الروائية، كما إن أهمية المكان في الفنون تتفاوت باختلاف الأجناس والأنواع الفنية، بحيث نجد الناقد الفرنسي "مارسيل مارتين" يشدد على أهمية المكان في السينما بقوله: "إن المكان في المسرح إلى جانب الهندسة والنحت والرقص، فنون داخل الفضاء dans l'espace، على عكس السينما، والاختلاف عميق فهي فن للفضاء de l'espace.[9]

ومن هذا المنطلق لا يمكن التعامل مع المكان في العمل السينمائي مجرد خلفية ومكونا كغيره من مكونات الفيلم الأخرى، بل يجب اعتباره ركيزة أساسية يحمل في طياته كافة مكونات الفيلم....في تركيبة متوازية بحيث يتعامل معها بحرفية دون أن يلغيها أو يحل محلها، ولكن يكون جزء من الحدث وهو من يحرك المكونات الأخرى.

والأفلام الجيدة هي التي يخرج فيها المكان عن كونه مجرد ستار فلسفي للأحداث، بل من خلال ترابطه مع الموضوع والشخصيات، وهذا ما ذهب إليه "جورج بلان" حيث يقول: "حيث لا توجد أحداث لا توجد أمكنة" بحيث جعل الحدث والمكان أشد التصاقا ببعضهما، فهمها حسبه وجهان لنفس العملة، ومنه يمكننا القول باستحالة الاستغناء عن المكان في العمل السينمائي، لأنه يمثل الحقيقة الأولى في هذا الفن، فهو ليس فقط المكان الحاوي للحدث سينمائيا، بل هو تلك الطاقة المحركة للشخصيات، وبنيتها المحركة والمشكلة للمجتمع الذي تعيش فيه، والبيئة التي تتصارع فيها.[10]

[8]- سليمان الحقيوي، سحر الصورة السينمائية (خبايا صناعة الصورة)، الأردن، دار الراية للنشر والتوزيع، ط.1، 2014، ص85.
[9]- نفس المرجع، ص88.
[10]- نفس المرجع، ص88.

المكان هو الوسط الذي يحيط بالأحداث والمعبر عن الفكرة الرئيسة التي يسعى من أجلها صانعو العمل الفني، ويعرف "مارسيل مارتيني" المكان بقوله: "هو الشكل العام الجوهري للحساسية في السينما باعتبارها فناً بصرياً"، وهذا يعني أن الشكل الفني لا يتجسد إلا عبر المكان، بالإضافة إلى الترابط مع كل العناصر الأخرى، فهو يدخل في منظومة علائقية مع الشخصيات والأحداث والديكور وباقي عناصر العمل الفيلمي، كما لا بد أن نميز بين الفضاء الطبيعي وفضاء الأستوديو، وبين المكان الداخلي والخارجي.[11]

وفي هذا الصدد لم يختزل "غاستون باشلار" المكان في أبعاده الهندسية والجغرافية فحسب، وإنما يمتد المكان ليشمل الأبعاد السيكولوجية والسمات الإنسانية، حيث يقول باشلار: " المكان الأليف، وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة، إنه المكان الذي ممارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا"[12]، وبناء عليه، نميز بين مستويين من المكان عند باشلار في العمل الفني، معمارية المكان التي تعني الأبعاد الهندسية والجغرافية للمكان، وشاعرية المكان التي تظهر وتجسد لنا المكان الأليف أو بيت الطفولة الذي يتسم بقيم الحماية والأمان والاحتواء، وعليه فهو يركز على القيمة الإنسانية التي يتسم بها المكان، فهو يركز على الأماكن المحبوبة التي تتسم بقيم الحماية والدفاع ضد القوى المعادية.

وهو ما سنتطرق إليه في الإطار التطبيقي حيث يلعب سحر المكان دورا هاما في خدمة فكرة الفيلم من جهة، ومساهمته في النجاح الذي حققه الفيلم من جهة أخرى.

وانطلاقا مما سبق يمكن الإشارة إلى توظيف المكان في السينما على عدة مستويات، منها الدرامي، والأيديولوجي، والتشكيلي:[13]

أولا: على المستوى الدرامي: يقوم المخرج بالبحث عن المكان الذي يمكن أن يشارك في خلق التأثيرات الدرامية من تشويق، ومفارقة، ومفاجأة، وانقلاب درامي، وتمويه... الخ. فتغير الخلفية التى تتحرك فيها الشخصيات، بالإضافة إلى مفردات الصورة الموجودة فى مقدمة الكادر، كل ذلك يشارك فى خلق هذه التأثيرات الدرامية.

ثانيا: على المستوى الأيديولوجي: تتحول الأفكار الأيديولوجية إلى رسائل شفرية بين الأفراد، تنتقل بوسائل الاتصال المختلفة، ومنها السينما، وتتحول هذه الرموز symbols أو الرسائل الشفرية codes إلى إشارات وعلامات دالة signifiers على معنى كامن داخلها من الناحية الفكرية، وتشترك الصورة

---

[11]– عمار إبراهيم محمد الياسري تقديم عبد القادر الدليمي، **البرامج التفاعلية التلفزيونية (تمظهرات الشكل وبناءه الدرامي والدلالي)**، عمان، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط.1، 2014، ص113-114.

[12]– غاستون باشلار، **جماليات الصورة**، بيروت – لبنان، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1، 2010، ص290.

[13]- معهد توب ماكس تكنولوجي، قسم: الإخراج التلفزيوني..السينمائي، **المخرج والمكان**، 12 أوت 2008، على الساعة: 08:26.
الرابط الإلكتروني: http://www.forum.topmaxtech.net/t346.html

السينمائية بوصفها علامة تشترك مع باقي العلامات (أو الرموز) من الصور الأخرى في حمل الشفرات الكامنة وراء معنى الصورة من المخرج إلى المتفرج المتلقي، ولكنها تحمل في طياتها مضامين أعمق تشكل معانٍ على عدة مستويات من التلقي.

ثالثا: على المستوى التشكيلي: والذي يتمثل في ترتيب الخطوط والكتل والأحجام والأشكال والعلاقات المكانية، أثناء خلق صور مشبعة جماليا، ينتج صورا تمثل حقيقة واقعنا، فإنه أيضا يدعم مواقف درامية، وحالات نفسية، وأفكارا موضوعية. وتساهم العلاقات المكانية للشخصيات، مع بعضهم البعض، ومع البيئة المحيطة بهم، فى فهمنا وردود أفعالنا لما يجرى على الشاشة.

3/ الجانب التطبيقي:

- **بطاقة فنية عن المخرج:**

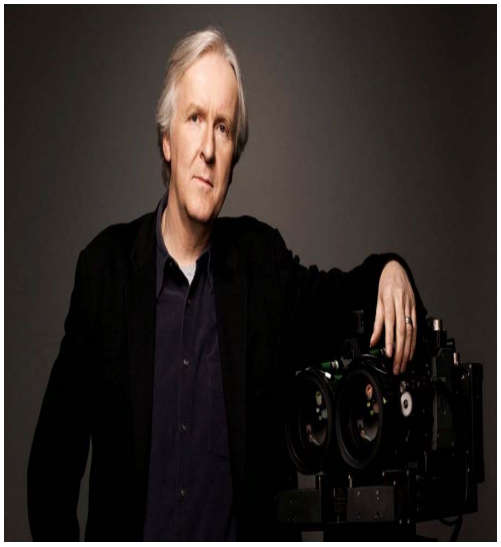

جيمس كامرون مخرج ومنتج وكاتب سيناريو، واحد من عمالقة هوليود، بل العالم بأسره، رمز مهيب لسينما جديدة تعرف بسينما الميزانيات الضخمة، من مواليد مدينة كبكوسكاسينغ الكندية بتاريخ 16 أوت 1954، في سنة 1971 استقر في كاليفورنيا حيث درس الفيزياء في معهد فولرتون كوليج، سنة 1978 يقرر فجأة تغيير مساره المهني، إلى السينما التي كان يعشقها وحلم طفولته الذي من أجله هاجر إلى موطن السينما هوليود، شارك كامرون في تقديم مهاراته ورؤاه كمخرج صاحب نظرة سينمائية استشرافية، مشبع بأفكار سابقة لوقتها في عدة أفلام، أفلام لا تشبه نظيراتها، سينما علم الخيال جديدة لا علاقة لها بما يقدم بالنسبة له هي سينما نيوكلاسيكية وان الوقت حان لوضع سينما جديدة، سينما الألفية قبل أوانها، يقول عنها أنها تعتمد على مجموعة من الرؤى والأفكار، خلطة غريبة لكن واقعية، السيناريو القوي، الميزانية الضخمة والتكنولوجيا، وهو ما عكس أفلامه الرائعة كترميناتور، تيتانيك وأفاتار، بحيث

يسمي النقاد هذا النوع من السينما بسينما جيمس كاميرون، التي تحمل فيضا من الأفكار الغريبة والذكية والمجنونة.

- **بطاقة فنية عن الفيلم:**

العنوان: أفاتار **(AVATAR).**

النوع: فيلم ثلاثي الأبعاد **live-action/animated film – الخيال العلمي**

المخرج: جيمس كاميرون: **James Cameron**

المخرج المنفذ: جيمس كاميرون: **James Cameron**

المنتج: جيمس كاميرون – جون لانداو: **James Cameron - John Landaw**

المنتج المنفذ: كولن ولسن:

التوزيع: إنتركوم

السيناريو: جيمس كاميرون: **James Cameron**

مدير التصوير: ماورو فيوري:

المونتاج: جيمس كاميرون – ستيفن ارفكين – جون روفوا: **Stephen E.Rivkin – John Refoua**

الموسيقى: جيمس هورنر: **James Horner**

الأدوار: سام ورذينجتن – زوي سالدانا – ستيفن لانغ – ميشيل رودريغز – جيوفاني ريبيسي – سيرجوني ويفر: **Sam Worthington - Zoe Saldana - Stephen Lang - Michelle Rodriguez - Giovanni Ribisi - Sigourney Weaver.**

المدة: 162 دقيقة. ساعتين و40 دقيقة

اللغة الأصلية: الإنجليزية – لغة النافي.

البلد والسنة: الولايات المتحدة – ديسمبر 2009.

الميزانية: 237,000,000 مليون دولار.

الإيرادات: 2,787,965,087 مليار دولار.

- **ملخص الفيلم:**

أفاتار هو مشروع علمي عسكري في نفس الوقت هو مشروع سري وغامض، وجهته كانت إلى كوكب بعيد ومجهول يسمى "بندورا"، أين يكمن سر اهتمام العلماء بهذا الكوكب هي مادة اينو بيتانيوم، مادة طاقوية فريدة ومدهشة، قد تحل مشكل الطاقة على كوكب الأرض، لذا وضع برنامج أفاتار السري لدراسة الكوكب وشعبه.

حيث تعيش على الكوكب كائنات فضائية زرقاء بعيون خضراء، تدعى النافي فهم شعب مسالم

يعيش في أمن واستقرار ملتزم بمبادئه وعاداته وتقاليده، وفي نفس الوقت هو شعب محارب وعنيد عندما يتعلق الأمر بكوكبه وأرضه.

حيث يقضي المشروع باستنساخ جسد من نوع خاص يشبه جسد الإنسان في بعض ملامحه، إلا أنه يتطلب جسد يتكيف مع كوكب بندورا، هذا النسخ تعرف باسم "الأفاتار" والذي جاء منه اسم الفيلم، من أجل اختراق شعب النافي والبحث العلمي للعثور على مناجم المعدن الثمين، واكتشاف نقاط ضعفه لغزوه وطرده من كوكبه لاستغلاله، هنا يبعث الفريق جاك سكولي (الممثل الاسترالي جاك ورثنجتوت) الذي ينضم لمشروع "أفاتار" بعد موت أخيه التوأم، وهو جندي سابق مقعد في كرسي متحرك.

وبعد سلسلة من الأحداث يقع البطل في حب البطلة "نيتيري"، فيقرر البقاء معها والانضمام إلى شعبها، فيتعلم خلالها عاداتهم وطريقة حياتهم وحتى لغتهم الخاصة، لكنه يعثر على منجم هائل للمعدن والذي يقع تحت شجرتهم المقدسة تماما، يحاول إقناع الشعب بمغادرة الشجرة لأنه يعلم أن البشر سيأتون لتدميرها والاستيلاء على المنجم، لكن في النهاية يتعاطف مع الشعب المسالم ويتراجع عن المهمة التي جاء من أجلها.

- **السمات الجمالية للمكان في فيلم أفاتار:**

1. **الفضاء أو المكان:** المكان هو كوكب "باندورا" الذي أبدعه جيمس كاميرون، وهو كوكب من وحي خياله يتميز بالطبيعة الخلابة والألوان الساحرة والإضاءة التي تجذب المشاهد، إضافة إلى المخلوقات الغريبة، ومخلوقات النافي الزرقاء (مخلوقات شبه بشرية) التي تعيش تحت الشجرة، والشجرة هنا هي رمز الثبات والحياة، القوة، الرسوخ، الحماية كل هذه الدلالة تفضي إلى تصوير الشجرة على أنها هي الأرض والوطن الذي لا يجب التسليم فيه والمحافظة عليه ولو كان ذلك على حساب النفس والتضحية من أجله، وهو ما لمسناه في الفيلم من خلال الرابط الذي يربطهم بمختلف الكائنات الموجودة على الكوكب وهو دليل على الثبات والتشبث بالأرض.

كما توجد على الكوكب قاعدة علمية عسكرية تهدف إلى الاستيلاء عليه، وكل هذه العناصر المرتبطة بالكوكب جعلت المشاهد يتفاعل مع الفضاء الذي تدور فيه الأحداث وحملته طيلة مدة الفيلم، حيث حافظ الفيلم منذ البداية حتى النهاية على الوحدة المكانية، وأحداث القصة تدور في نفس المكان ومن أجله.

2. تحليل زمكانية الفيلم:

كان الزمن في الفيلم عام 2154 وهذا ظهر من خلال الكاميرا التي كان يتحدث فيها البطل، إلا أن الفيلم صالح لكل الأزمنة، ويمكنه إسقاطه على ما يجري من أحداث متسارعة على الساحة الدولية.

وبالرغم من أن زمان الفيلم يعد بعيدا جدا إضافة إلى العناصر الأخرى من ديكور ولباس التي تساعد المشاهد على اكتشاف زمن القصة الدرامية، إلا أنه لم يول للبعد الزماني الخيالي أية أهمية ولم يؤثر على سير الأحداث، وهذا تأكيدا لفكرتين:

أولهما: الفيلم صالح لكل زمان مع قابلية التجديد والتطور، لمسايرة متغيرات الزمن.

ثانيهما: قصة الفيلم تنتمي إلى الخيال العلمي المنضبط، الذي يستمد قاعدته من الواقع، كمحرك جوهري في الجو العام للفيلم.

2. **الديكور:** هو عبارة عن جنة فوق الأرض، بمناظر طبيعية ساحرة وأضواء مشعة ومخلوقات النافي المسالمة، والحشرات المضيئة والغريبة.

3. اللباس: بالنسبة لمخلوقات النافي فهم أشباه عراة لباسهم يشبه لباس السكان الأصليين لأمريكا الشمالية (الهنود الحمر).

5. الشخصيات: كانت هناك شخصيات حقيقية وشخصيات كرتونية تحرك مجريات الأحداث وهي كالتالي:

سام ورذينجتن في دور "جاك سكولي"

زوي سالدانا في دور " نيتيري"

سيرجوني ويفر في دور "عالمة أحياء"

ستيفن لانغ في دور "قائد القاعدة العسكرية"

6. الألوان: البنفسجي والأزرق والأخضر هي ألوان باردة توحي بالهدوء والصفاء والثقة، التفاؤل، الجمال،

ولاحظنا اللون البرتقالي والذي يدل على الثورة والخراب، إلا أن اللون الأخضر طغى على الفيلم وهو لون الطبيعة، منعش ومهدئ، يوحي بالراحة لأنه يضفي السكينة للنفس، وهو الشعور الذي طغى على المشاهد بالرغم من أحداث الخراب والدمار للفيلم.

نتائج التحليل:

إن الإجراءات الأولية التي تم اعتمادها في التحليل النصي السيميولوجي للفيلم، والمتمثلة في القراءة التعيينية والتضمينية توصلنا إلى النتائج التالية:

1- لمسنا في الفيلم المكان هو المحرك الرئيسي للشخصيات والأحداث، وحتى الصراع في الفيلم كان حول المكان ومن أجله الذي يدل على الأرض والوطن، بحيث تتحدد علاقة المكان في هذا الفيلم عبر اتجاهين (حميمي/روحي) بالنسبة لمخلوقات النافي حيث ترى نفسها امتداد للمكان (باندورا) والشجرة الأم إذ ترتبط بها برباط روحي، أما الاتجاه الثاني فهو (اتجاه نفعي) يمثله البشر بفكرة تدمير المكان بهدف الحصول على منبع المعدن النفيس، وهو ما ولد محور الصراع بين الاتجاهين، وفي ظل هذا الصراع يبرز اتجاه ثالث (هجين) خرج من رحم الاتجاه الثاني وارتمى في أحضان الاتجاه الأول، ويتمثل في

تحول الشخصية الرئيسة من موقف الرغبة النفعية إلى موقف الدفاع عن المكان والرغبة في العيش فيه، لقد عبر المخرج عن هذا الالتحام بين الشخصيات والمكان بربطه بين نهاية المكان ونهاية ساكنيه، لذلك تتحد كل المخلوقات للدفاع عن هذا المكان، إن هذه العلاقات المختلفة مع المكان تبرز لنا خصائص الشخصيات، فالتي تتشبث به وتحبه تبدو مسالمة وجميلة، أما التي تبحث عن المصلحة فهي مادية، خبيثة وقاتلة.

2- بفضل التقنية قدم لنا جيمس كاميرون عالما متكاملا لا يمت إلى الواقع بصلة، كما يختلف عن المكان الذي ألفناه في السينما بصفة عامة، حيث ضربت أبعاد كامرون الثلاثية افتراضات العين، وضخمت ما يمكن أن نطلق عليه (سينما المنظر)، في فضاء مغلق بين الجمهور والشاشة عن طريق تقنية 3D.

3- اعتماد المخرج على جمالية المكان كان بمقدار اعتماده على حبكة العمل، حيث لمسنا الانطباع الإيجابي الذي خلفته عند المشاهد، فكوكب باندورا قدم مناظر طبيعية أبهرت المشاهد وجعلته يتفاعل معها، حيث أبدع المخرج في رسم تفاصيله بدقة عالية من خلال استخدام تقنيات توليد الصور، ودفعنا نتعايش مع هذا المكان الافتراضي "كوكب باندورا" الساحر، مما يجعلك وأنت تشاهد الفيلم، بحيث تصبح جزءا منه، تتورط في المخاطر التي يتعرض لها البطل، وتكاد تشم رائحة الأشجار في الغابات، وتلمس مياه البحيرات، وتغطي وجهك خوفا من أن تصيبك إحدى الأحجار المتطايرة، تعيش مع البطل لحظة بلحظة وتتعاطف مع مخلوقات النافي.

4- لاشك أن نجاح كاميرون الكبير عن طريق تقنيات توليد الصور باستخدام برامج الكمبيوتر لذلك الكوكب الساحر، بغاباته الفسيحة، وأشجاره العملاقة، وبحيراته....، كانت مقرونة بجهد كبير، وهذا ما أكدته "سيجورني ويفر" التي لعبت دور عالمة بيولوجيا في الفيلم بقولها: "إن كل صورة في الفيلم استغرق العمل فيها 47 ساعة" فذلك يعتبر أكبر مؤشر بما يحويه الفيلم من جهد كبير أدى إلى هذا الإبهار البصري، لدرجة أن المشاهد يشعر بأدق التفاصيل، بحبات المطر الخفيف، بأوراق الشجر المتساقطة....

5- يعد المكان في هذا العمل محور الصراع الذي دار بين مخلوقات النافي المدافعة عن "الوطن" والإنسان الطامع في الاستيلاء على الكوكب، صراع الخير والشر.

6- مما يثير الانتباه جمالية وسحر المكان وما يحتويه من نباتات مضيئة، وأشجار وشلالات كلها توحي بالهدوء والسكينة، وحتى داخل القاعدة العسكرية استخدام تكنولوجيا جد متطورة، وحتى فيما يخص تصميم المركبات والطائرات مصنوعة بقياسات مختلفة، بالإضافة إلى حسن اختيار الألوان والتي تراوحت بين الأخضر والأزرق والبنفسجي توحي بالأمل والتفاؤل والحياة والسلام والاستقرار و...، وكذا الإضاءة كلها

تقنيات مدروسة بشكل دقيق، أين كان تصوير معظم الفيلم في صالات التصوير التي كانت مجهزة بكاميرات الأشعة تحت الحمراء لالتقاط تحركات الممثلين، وتشابه الممثل مع الشخصية وذلك باستخدام مؤثرات تكنولوجية جديدة وبدقة عالية، أين جمع بين مضمون الفيلم المحشو بالقيم والأفكار المنددة بهمجية ووحشية الرجل الأبيض ضد السكان الأصليين وبين جمالية الصورة التي أبهرت المشاهد وجعلته يتأثر ويتعاطف مع شعب النافي، وأخيرا يعتبر الفيلم تحفة فنية نادرة وفريدة من نوعها بحيث جاء في حلة جديدة وبطريقة مختلفة لم نتعود عليها من قبل وبتقنيات جد متطورة، مما يظهر براعة واحترافية جيمس كاميرون في تعامله مع التكنولوجيا الرقمية.

7- وفي الأخير يتضح أن جمالية المكان قد ساهمت في النجاح التجاري لهذا العمل، لأن قصة الفيلم هي امتداد لما يحدث في العالم الواقعي، ففكرة رفض الغزو وما تعكسه بوضوح من موقف رافض للسياسة الخارجية الأمريكية الحالية، خاصة وأن الفيلم يجعل الحافز الأساسي لغزو البشر لكوكب "باندورا" هو الحصول على معدن نفيس نادر، في إشارة رمزية إلى النفط.

خاتمة:

إن التطورات التقنية الهائلة في أدوات الصناعة السينمائية، قد أسهمت كثيرا في تطور السمات الجمالية للسينما، وبناءا عليه فإن الأفلام التي لا تعتني بجماليات الصورة السينمائية لا يمكن لها أن تحظى بالاهتمام المطلوب من قبل المشاهد.

وبهذا يمكن القول أن جيمس كاميرون نجح في تقديم تحفته السينمائية، فهو يعمل على إحداث التوازن بين جمالية الصورة وعمق القصة لصناعة فيلم ممتع ومميز، وهو ما لامسنه في فيلم "أفاتار" الذي يجمع بين سحر المكان والتقنية العالية وبين الفكرة والمضمون، إضافة إلى أن فيلم "أفاتار" (Avatar) ليس للمتعة فقط، بل يحمل بين ثناياه قضية عالمية عن نضال الأمم ضد الاحتلال الساعي وراء الثروات، وتساؤلات عن ارتباط الكائنات ببيئتها، والدفاع عن أراضيها والتضحية بالنفس والنفيس من أجل أوطانها، وفي هذا الصدد يقول جيمس كاميرون " إذا ما وجدت أن الضحايا في الفيلم يستحقون مثلا أن يكونوا كذلك، كان تقدمهم كأعداء للحضارة الوافدة، عليك أن تلازم الحقيقة كما برهنها التاريخ وهي أن الإنسان الأبيض هو الذي أضر بمصالح الحضارات الأولى وسماها بدائية، جزء من هذا الاحترام هو إيجاد لغة جميلة يتحدث بها أهل الكوكب...."[14] هنا يتهم كاميرون الرجل الأبيض في تعامله العنيف مع الحضارات

[14]- عبد الغني بومعزة، إطلالة على السينما –قراءات نقدية سينمائية – الجزائر، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط.1، 2012، ص139.

الأخرى ووصفها بالبدائية والمتخلفة بهدف فرض نظامه والسيطرة على العالم تحت مسمى الحرية والديمقراطية والتطور والعولمة.

قائمة المراجع:

1. سليمان الحقيوي، **سحر الصورة السينمائية (خبايا صناعة الصورة)**، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن، ط.1، 2014.
2. عبد السلام شحاذة، **فن التصوير**، مطابع الهيئة الخيرية، غزة–فلسطين، 1997.
3. عبد الغني بومعزة، **إطلالة على السينما –قراءات نقدية سينمائية –** دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2012.
4. عمار إبراهيم محمد الياسري تقديم عبد القادر الدليمي، **البرامج التفاعلية التلفزيونية (تمظهرات الشكل وبناءه الدرامي والدلالي)**، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط.1، 2014.
5. غاستون باشلار، **جماليات الصورة**، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط.1، 2010.
6. كاظم مرشد السلوم، **سينما الواقع – دراسة تحليلية في السينما الوثائقية**، دار أفكار للدراسات والنشر، سوريا، ط.1، 2012.
7. مليكة جورديخ، **جماليات اللون والديكور والإضاءة في فيلم جبل باية – دراسة وصفية تحليلية –** مجلة جماليات (جامعة مستغانم)، العدد 14، 2014.
8. نصر الدين العياضي، **جمالية الصورة**، مجلة الإذاعات العربية، شركة فنون للرسم والنشر والصحافة، تونس، العدد 02، 2003.

الروابط الإلكترونية:

1. محمد الغريب، **في فلسفة جماليات السينما: دلالات وملامح**، عين على السينما، الإثنين 15 يونيو 2015 على الساعة: 21:55

الرابط الإلكتروني: http://eyeoncinema.net/Details.aspx?secid=56&nwsId=3243

2. معهد توب ماكس تكنولوجي، قسم: الإخراج التلفزيوني..السينمائي، **المخرج والمكان**، 12 أوت 2008، على الساعة: 08:26.

الرابط الإلكتروني: http://www.forum.topmaxtech.net/t346.html